الغـــــزالـــي

فيلسوفًا ـ تربويًا ـ معالجًا للمشكلات المعاصرة

د. عبد المجيد دياب

أبو حامد الغزالي علمٌ من أعلام الفكرِ الإنْسانيّ . يوضَع إلى جانب سقراط وأفلاطون بين اليونان ، وديكارت وبسكال بين المُحْدَثين. وهو قبْل هذا حُجّة الإسلام ، فمنْذُ أوائل القرْن السادس الهجرِيّ ، ومفكرو الإسلام يتدَارسونه ، ويَنْقلون عنه ، ويحتَجُّون به إلى اليوم.

ولم يقف أثره عند الشَّرق ، بل امتدّ إلى الغرْب ، فتُرجمت بعضُ كتُبِه إلى مُخْتَلف اللُّغَات.

وفي عصْره انْتَهت صفْوةُ الدِّراسات الإسلاميّة في القرآن وتفسيره، ولغتِه وألفاظِه وأسلوبِه ونظمه ، ووجوهِ إعْجازِه وسائرِ علومه وفنونه . كما أنَّه إلى جانب ذلك ، عصْرٌ تلقَّى مع هذه الدراسات الإسلاميّة الواسعة حضاراتِ الأمم

ونتائج العقول، وثمرات الأفكار وسبحات الأخيلة وإشْرَاقَات القلوب ، ونزعات الإلْحَاد في فَلَتَات الزّنْدَقَة .

ومع كل ذلك فقد اصطرعت فيه آراءٌ وعقائدُ ومذاهب ومقالاتٌ كثيرة : منها ما كانت السِّياسةُ قد استغلّتها ، ومنْهَا ما أشْعَلَتْهُ الحماسةُ المَذْهَبِيَّة ، ومنها ما جمَعَت بيْنَ الأمْرَين : الحماسَة والسِّياسة، كل ذلك تلاقَى في القرْن الخامس الهجريّ . عَصْر أبي حامد الغزاليّ . ولمثْلِ هذا أوجب المؤرخون العصريّون ، أن يكونَ لعصْرِ الرّجُل . أيّ رجلٍ . أثرٌ في سيرتِه (١).

فلوْ أرَدْنا أنْ نُشير إلى الغزاليّ بلقبٍ فماذا نحن قائلون ؟ أنُسمِّيه صوفيَا ؟ أمْ متكلّمًا ؟ أمْ فقيهًا ؟ أم فيْلسوفًا ؟

إن كلّ تسمية من هذه التّسْميات يمكن أن تسيء إلى الغزاليّ إذا أُطْلقَتْ عليْه أو تُنْقصه بعضَ حقّه على الأقلّ . ولقد كان من التّوفيق إلى حدٍّ بعيد أن يُلَقَّبَ الغزاليّ بحجة الإسلام ، لأنه هذا المفكّر العبْقريّ ممّن تعرَّضوُا للفقْه ، وللْكَلام ، وللتصوّف والفلْسَفة ولم يكُن في خياله ، ولا في منْهاجه ، إلاّ الدِّفاعَ عن الإسلام ، ومن أجْلِ ذلك كانت تَسميَة بحجّة الإسلام ، تسميةً موفّقةً ودالةً ودقيقةً في نفْس الوَقْت ، فلم يكن بالمتصوِّف النزَّاعِ إلى التأمّل الصِّرْف فقط ، ولا بالمفكّر الميّال إلى العزْلَة عن الأُمور التّي تشغل المجْتَمع ، بل كان يسْهم في تَحْسين حالِ النّاس ويعلو بهم مواكَب الحياة الروحيّة والنّفسيّة والجسميّة ، فكان يحبُّ الفضيلة لذاتها ، ويحبّ المجْتَمع أن يكون فاضلاً ، ويحبّ للإنسان أن يسيرَ في معارك السُّموّ والكمال .

وهكذا كان الغزاليّ أميراً من أُمَراء الفقْه النيّر في تاريخ الحضارة الإنسانيّة كلّها ، فحين شاءَ الغزاليّ أن يفلْسف ويتَفلْسَف ، دفعه حبّ الإسْتطْلاَع أن يقْرأ كثيراً ، فقرأ لفلاسفةَ الإسْلام ، كما قرأ لغيْرهم ، وتمكَّنَ كلّ التمكّن من فلْسفة أرسطو ، والفارابي وابن سينا . ونظرةً إلى كتُبه عامّةً تَشْهَد على مدى وقُوفه على التُّراث الفلْسفيّ المتشعِّب المتنوّع القديم والحَديث ، ولقْد ظهَرَتْ ثمارُ قراءَاته فيما كتبَ وألّف ، وكتابه (تهافُت الفلاسفة) من أشهر كُتُبِه وأخطرِها ، وهو دُون نزاعٍ من أهمّ الكُتُب الفلسفيّة في القرُون الوُسطى .

وهكذا فتَحَ أبو حامد الغزاليّ في عصُور الظّلام الّتي كانت تَرْزَح تحْتَها أورُبّا فتَح الآفاق الرّحبة للتفكير الحديث ، وشقَّ الطَّريق أمام العقْل العلْمِي ، وسبق بقرون خمْسة على الأقلّ « ديكارت » وسائِر المفكّرين الذين وضعوا قواعِد البحث العلْميَّ ، وما نجمَ عنْها منْ تطوّر هائلٍ في حياةِ البَشَر وتَفْكيرهم ، وأسْلُوب فهْمِهم للطَّبيعة وتسْخيرِها لشؤونهم ، فقد عالج أمَّهات القضايَا الفلسفيّة الكُبرى الّتي شغلتْ كبار المفكّرين والفلاَسفة مِن قبْله ومِنْ بَعْده ، وَوَقَفَ منْها موقفًا أصيلاً، واتجاهًا مجدّدا (٢)۔ وإلى جانب القضايا الفلسفيّة بحَثَ كثيراً من الإعْتبارات المنطقيّة النفْسيّة ، والتّربويّة ، والخُلقيّة ، والاجتماعيّة ، وكتبه الكثيرة المتعدِّدة ينبوع ثرٍّ للباحثِ عنْ وجْهات النّظر هذهِ في تاريخ الفكْر الإنْساني .

فيمْكن أن يُعْتَبر الغزاليّ نموذجًا للمفكّرين الّذين أثَّرُوا في مجتمعهم بالفكْر والبيان تأثيراً بالغًا .

والدّارس للغزالي دراسةً واعيةً متفحِّصةً يمْكنُه إرجاع ما يكْتبه رجالُ التّربية وعلْم النفّس إلى أُصله الأصِيل مِن تراثنا في كتابات الغزاليّ وغيره ، وإذا نظر الدارس إلى قوْل الغزاليّ في (رسالة أيّها الولَد) (٣) .

« ومِنْ دقَائق صناعةِ التّعليم أن يزْجُرَ المتعلّمَ عنْ سُوءِ الأخْلاقِ ، بطريق التَّعْريض ما أمكن ، وبطريق الرّحمة ، لا بطريقِ التّوْبيخ ؛ فإنّ التّصريح يهْتِك حجابَ الهيْبَة ، ويُورثُ الجرْأة على الهجُوم بالخِلاف ، ويُهيّجُ الحرْصَ علَى الإصْرارِ » .

لوْ نظرَ الدارسُ إلى هذا ، لوجدَه متّفقًا مع المربِّين المعاصِرين ، الذّين يعلِّقون أهميِّة كبيرةً على العلاقاتِ الإنسانيّة ، التّي ترْبِطُ المعلِّمَ بالمتعلِّم (٤)؛ إذْ أنَّ

---

(١) انظر عصر الإمام الغزالي ـ للدكتور مصطفى جواد ص ٤٩٣ وما بعدها (مهرجان الغزالي) .

(٢) انظر أبو حامد الغزاليّ في الذكرى المؤية التاسعة لميلاده ص ٢١١ ، وما بعدها (بحث الدكتور إبراهيم مدكور) .

(٣) طبعت عدة مرات في القاهرة .

(٤) انظر كتاب الصحة النفسية للدكتور مصطفى فهمي.

نجاح التّربية إنّما يترتّب - إلى حدٍّ كبير - على علاقة العطف والمودّة والتّعاون ، الذّي يجبُ أنْ يربطَ بين المعلّم وتلميذه ، فهذه العلاقةُ كفيلةٌ بأنْ تُشْعر التّلميذَ بالإطْمئنان إلى معلّمه ، فلا يخْشاهُ وينفُر من علومه ، بلْ تَزيدُه شغفًا بالعلْم والتّعلم . وهكَذَا وجدْنا في الغزاليّ هاديًا ربطَ حاضرنَا بماضينَا ؛ فآمنَّا بأنّ المجْدَ الذّي نَنْشدُه اليوم ، له أُصولٌ عريقةٌ في أغْوار تاريخنا .

وهاكُم علَمٌ من أعلام الفِكْر المعَاصِر ، وهو الدكتور عثمان أمين صاحب المذْهب المعروف (بالجوانية) وقد كنّا نظنّ أنّه هو أوّل من نادى به يقول في : (الجوانية الأخلاقية عند الغزاليّ) .« البرّاني والجوّاني قد جلاّه الغزاليّ منْ قَبْلنَا بتَحْليل نفْسي دقيق ، وبيان فلْسفيٍّ عميق ، ينْدُر أن نجدَ في أيّ أدبٍ من آداب العالَم - قديمِه وحديثِه - ما يُقاربُه في اللّطافة ، والدقّة ، والغزارة .

وحاصلُ موْقف الغزاليّ من الأخْلاق ، هو إلتماسُ المعْنَى الجوّاني للأقْوال والأفْعَال ، وربْط الأعْمال الظّاهرة بالبواعث الباطنة ، واشْتراط حضُور القلْب ، وصدْق النيّة ، وتمام الإخلاص في العبادات ، أوْ المعامَلات ، وهكذا تعْمق في فَهْم المثل الأعْلى الأخْلاقيّ ، وربطٌ لحياة المتعبّد المُسْتنير ، بحياة المجْتَمع الفاضل(٥) .

ومع أنّ هذه شهادَةٌ نعتزّ بها للغزاليّ من فيْلسوف مُحْدَث ، نجدُ الباحثينَ الأوروبيين ، قد شهدوا للغزاليّ بطول الباع ، وقوّة الإبْداع ، فقال (مكدونالد) عن الغزاليّ : إنّه أعرق المفكّرين المسْلمينَ أصالةً ، وأعظم المتكلّمينَ المسْلمين إطْلاقًا ، ولا غرابَةَ إذْ وجدْنا الغرْبيّين قدْ أجلّوهُ ، وأفادُوا من آرائه ، ووجدوا بيْنَه وبيْنَ أحد أئمّتهم وهو القدّيس (توما الإكْويني) صلةً وثيقةً ، حتّى قال أحدُ باحثيهم : لا ريْبَ عنْدنا في أنّ الذّين يتّهمون علماءَ المسلمين بفقْرهم إلى الإبْتكار ، وانحطاط مستواهم العقلي ، لم يقرأوا ابن رشد ، ولم يتصفحوا الغزالي ، بل نقلوا هذا الاتهام عن سواهم .

---

(٥) الجوانية الاخلاقية عند الغزالي - للدكتور عثمان أمين ص ١٣١ وما بعدها (مهرجان الغزالي) .

وإنّ وجود مذاهب إسلامية الأصل في كتاب (الخلاصة الفلسفية) للقديس (توما الإكويني) وهو حصن المسيحية الغربيّة لدحْض كافٍ لاتّهام العرب بالجبر، ورميهم بالفقر إلى الخلق والابتكار.

الغزالي تربويًا :

يتّضح من دراسة ما كتبه (الغزالي) عن التّعليم والتّهذيب أنه كان يهدف إلى غايتين : هما الكمال الإنساني الذي غايته التقرب من اللّه، ثم الكمال الإنساني الذي غايته سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، فأراد لذلك أن يعلّم الناس حتى يبلّغهم الأهداف التي جعلها غايته ومقصده، فقال عندما تناول « آداب معلم الصّبيان » .

« يقبّح عند التلاميذ الغيْبة ، ويوحّش عندهم الكذب والنّميمة ، ولا يسأل عن أمر ينوبهم فيستثقلوه ، ولا يكثر الطلب من أهلهم فيملّوه ، ويعلمهم الطهارة والصلاة ، ويعرفهم بما يلحقهم من النّجاسة » .كما أشار في (رسالة أيها الولد) إلى وجوب أن يقتدي المعلم بصاحب الشرع ، صلوات اللّه وسلامه عليه ، وكذلك لم يَنْسَ شؤون الدنيا فأعد لها عدتها في التربية، وقد حرص الغزالي على إقامة علاقة عاطفية متينة بين المعلم والمتعلّم ، وبنى هذه العلاقة على الحب والعطف والثقة والاحترام المتبادل ، فإذا وُجدتْ مثل هذه الرّوابط ، فإنّ مهمة كلٍّ من المُعلم والمتعلّم سوف تصبح سهلةً ومحببة إلى النفس ، وإذا قرأت قوله في (الأدب في الدّين) .

« ويكون معظم تأديب المعلّم بالرّهْبة ، ولا يكْثر الضربَ والتّعذيب، ولا يحادثهم فيجترئوا عليه ، ولا يدعهم يتحدثون فَيَنْبسطون بين يديه ، ولا يمازحُ بين أيديهم أحداً ، ويتنزه عمّا يُعْطونه ، ويتورّع عما بين يديه يطرحونه ، ويمنعهم من التّحْريش ، ويكفهم من التّفْتيش » . وقوله في (رسالة أيها الولد) عندما تناول آداب المتعلم .

« ألاّ يتكبر على العلم ولا يتآمر على المعلّم ، بل يُذْعِن لنصيحته إذعان

المريض الجاهل للطَّبيب المشفق الحاذق » .

وبمثل هذا يتضح للقارئ ، أنّ ما نستورده من أفكار ، هو اجترارٌ لما قاله الغزالي قبل ذلك . والتربية الحديثة تهتم بالنواحي العاطفية اهتمامًا كبيرًا ، إذ أن نفور المتعلم من أستاذه أو مدرسه ، وعدم اطمئنانه إليه ، لقسوته أو غلظته، من الأسباب الدّاعية إلى إخفاق المعلم في تعليمه ، وانحراف المتعلمين . وإزاء ذلك ندع حجة الإسلام يبين لنا أهم الصِّفات التي ينبغي أن يتصف بها المعلِّم المثالي :

« وهي الأمانة والتفاني في العمل ، والشفقة والرحمة بالمتعلِّم ، والتسامح وسعة الصدر ، والتّعفّف عن المادة ، وغزارة العلم ، وعمق المعرفة ، والاستقامة ، والتمسك بالمبدأ ، فيبدأ بإصلاح نفسه ، فإنّ أعين تلاميذه إليه ناظرةٌ ، وآذانهم إليه مصغيةٌ ، فما استحسنه فهو عندهم الحسن ، وما استقبحهُ فهو عندهم القبيح ، ويلزم الصمت في جلْسته، والشّزر في نظره، ويكون معظم تأديبه بالرَّهْبة » .

وليس هناك أحدٌ ينكر أن كلَّ هذه الصفات ضروريةٌ الآن ، ويجب توافرها في المعلم المثالي الناجح في عمله ، وقد فطن الغزالي إلى أن اتساع مجال العلم والمعرفة ، خير من قصْره على نواحٍ محدودة وأشار إلى أن اتساع الثقافة ، يجنب كره العلوم غير المعروفة ، ويجنب احتقارها ؛ إذ أنّ الجهل بالشئ يسبب العداءَ له ، ويعتبر هذا المبدأ من أهم المبادئ التربوية المعاصرة التي تنادي بجعل المدّرج الدِّراسي واسعًا شاملاً للعلوم المختلفة ، كما فطن إلى أنّ هناك فروقًا بين الأفراد ، من حيث استعداداتهم العقلية ، وقدراتهم الخاصة ، فنصح أن تتمشى عملية التعليم مع المستوى العقلي للمتعلِّم ، وأن يقتصر بالمتعلِّم على قدر فهمه ، فلا يلقى إليه ما لا يبلغه عقله فينفِّره.

وأنّ المتعلم القاصر ينبغي أن يُلقَى عليه الجليُّ اللائق به ، ولا يذكر له أنّ وراء هذا تدقيقًا ، والمعلِّم يدَّخره عنه ، فإنّ ذلك يُفَتِّر رغبته في الجليّ ونشوّش عليه قلبه .

وغنّي عن الكلام ما لهذا المبدأ من أهمية تربوية ، ولقد بيّن إمامنا أنّ

دراسة المعلِّم لنفسيّة المتعلِّم ، وطباعه ، وخصاله من ضروريات مهنته ، كما فطن إلى كثير من الصفات المميّزة للصِّبية والمراهقين ، التي يجب أن يراعيها المعلم أثناء تعليمه لتلميذه ، ولا شك في أنّ دراسة علم النفس من أهم الدراسات التي يجب أن يكون عليها إعداد المعلم .

ومن الأمور التي تدعو إلى الإعجاب بآراء الغزالي ، أنه وضع أسسا سليمة تبنى عليها طريقة التعامل بين الناس بعضهم مع بعض، أي أنه وضع أسسا للتربية الاجتماعية أيضا (٦) ، فاسمعه يقول عندما تعرض للحديث عن الشريف من الناس : « يهذِّب أخلاقه ، ويتحفّظ في ألفاظه عند غضبه وخطابه، يكرم جلسَاءَهُ ، ويواصل إخْوانَه ، ويصونُ أقاربه ، ويعين جيرانه » .

ومما ذكره في آداب المعاشرة : أنّ الفرد إذا دخل مجلساً أو جماعة سلّم وجلس حيث امتنع ، وخصَّ بالسلام من قرب منه ، وإذا سأل أحداً من جلسائه حاجة فقضاها له فهو أخ مستفاد ، وإن لم يقضها فلا يذمّه، فيكتَسِب عداوته ، ولا يطمع أن يكون له في الغيب كما هو في العلانية فإنه لا يجد ذلك أبداً ، ولا يطمع فيما بين أيدي النّاس فيذلّ لهم ويذهب دينه معهم .

ويُستخلص ممّا جاء به الغزالي في هذه النّاحية : أنه كان من المهتمين ببناء الصِّلات بين الناس بعضهم مع بعض ، بحيث تكون مبنيَّة على المودة، والمحبة ، والاحترام المتبادل ، وبحيث تراعِي آداب اللّياقة في التّعامل بين الأفراد . تلك المظاهر التّي تعتبر من أولى مقوِّمات الحياة الديموقراطية ، التي اتصف بها الإسلام على وجه العموم .

ومن الواضح في منهج الغزالي ، النّزعة الدينيّة الصّوفيّة التي تجعله يضع علوم الدين فوق كل اعتبار ، ويراها أداةً لتطهير النفس وتنقيتها من صدأ الدُّنيويّات؛ وهو بذلك يؤكد الاهتمام بالتربية الخلقيَّة التي ترتبط لديه بالتربية الدينيّة ، ويلحظ أنه يستعمل في بعض الأحيان عبارات تشبه العبارات التي استعملها

---

(٦) راجع التربية عند الغزالي ـ للأستاذة فتحية سُليمان ص ٧٦٣ وما بعدها (مهرجان الغزالي).

الفيلسوف والمربي اليوناني القديم أفلاطون في كتاباته . وهو يتكلم عن تراكم صدأ الجهل على النفس البشريّة ، إذا انغمست في لذاتها الماديّة ، وعن إزالة هذا الصدأ بطريق التّربية المثالية الصحيحة ، ومن المعروف أنّ الغزاليّ درس الفلاسفة اليونان دراسة دقيقة، وردّ على فلسفتهم ونظرياتهم .

والدّارس للتّراث العربي على العموم والغزالي على الخصوص يلمس بكلتا يديه العقليّة العربيّة الولُود ، التي جادت في الماضي ، وأثّرت في الحاضر ، حتى يُمكِننا أن نؤكد القول بأن ما نستورده اليوم من أفكار الغرب ، وتجاربهم إنّما هو وليد قيمنا الرّوحية والخُلقية والفكْرية .

الغزالي ومشكلات العصر :

الغزاليُّ فقيه مسلم ، وفيلسوف سياسيّ ، تفاعل مع الحياة العامّة، وصوّر دروسها التي تمليها تجربة عصْره ، وأضاف إليها تجربة الدُّول الإسلامية في أسمى معانيها . فيقرِّر أن الإمتناع عن النسل جائز في نظره ، ويذكر في ذلك أنّ الإختلاف في إباحَة وكراهَة على أربعة مذاهب ، فمن مبيح مطلقًا بكلّ حال ، ومن محرم مطلقًا بكلّ حال، ومن قائلٍ يحلُّ إذا اتّفق عليه الزّوجان ، ومن قائل أنه يباح في المملوكة دون الحرّة.

ثم يقول بعد سرد هذه الأقوال في كتابه (الجزء الثاني من الإحياء) والصحيح عندنا أن ذلك جائز » ومع تسويغه الإمتناع عن الحمل لا يسوِّغُ الإجهاض بأي صورة من صوره ، ويقول في ذلك : « ليس هذا كالإجهاض والوأد ؛ لأن ذلك جناية على موجود حاصل، وله مراتب . وأول مراتب الوجود أن تقع النُّطفة في الرّحم ، وتختلط بماء المرأة ، وتستعد لقبول الحياة ، وإفسادُ ذلك جناية ، فإن صارت مضْغةً وعلقَةً كانت الجناية أفحش ، وإن نفخ فيه الرّوح واستوت الخلقة زادت الجناية تفاحشا .

ومن مسوّغات تحديد النسل عنده ، الخوف من كثرة العيال ، أو استبقاء

المرأة لجمالها . إلى غير ذلك من المسوِّغات التي يبرهن على جوازها . وللأستاذ محمد أبو زهرة ردٌ طويل على كلام الغزاليّ ، يمكن للمستزيد أن يقرأه في بحثه (الغزاليّ الفقيه) (٧) .

والدارس لكتاب (إحياء علوم الدّين) وبقية كتب الغزاليّ في المرحلة الأخيرة من حياته ، يرى فيها أنه باحث سيكلوجيّ يستشفّ أغوار النفس الإنسانية ، بمعنًى يشبه علماء النفس المحدثين ، حيث يدرسون عدداً كبيراً من الملاحظات المتعلقة بالنفس والتجارب الشخصية التي حصلت لهم وللآخرين ، كما فصّل القول في الهواتف والانفعالات وحلّلها تحليلاً عميقًا ، وعُنيَ بالسُلوك الفردي والاجتماعي ، فخرج بحثه عن أن يكون مجرد بحث أفكار . فلا شك أن الغزالي يعتبر أول من دوّن علم الأخلاق ، وفلسفه على الروح الإسلامية ، والمبادئ القرآنية ، وعلى هدْيٍ من القرآن وسنّة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولم ينصح الإمام الغزاليّ بالرَّهْبنَة ، بل على العكس نهى عنها ، نهيًا باتاً .

فقال :

« قد يظن الجهّالُ أنّ شرْط التّواكل ترك الكسب ، وترك التداوي ، والاستسلام للمهلكات ! وذلك خطأ ؛ لأنّ ذلك حرام في الشرع ، والشرع قد أثنى على التواكل وندب إليه ، فكيف يقال : ذلك محظور ؟ ! » .

ونهى عن التواكل والبطالة ، فأوجب أن يعلم (المرء) أنّ الآخرة لا تنال بالبطالة والعطالة ، وأنّ المنازل الرّفيعة لا تدرك إلا باقتحام الأخطار ، واتخاذ السّبل المُوصِّلة إليها ، بعد بذل الجهد ، ولا يتأتى ذلك إلا لذوي العزائم القوية ، وقد عالج في (الأدب في الدين) الطبيعة البشرية بهاد من دينه ، وجعل لها أبعاداً ثلاثة :

١ ـ البعد النفسي : يعنى الفرد مع نفسه ومشاعره مع ربّه وهذا هو صلاته ونسكه ، ومداومة امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وحسن الخُلق، ودوام الذكر ، وإخلاص العمل ، وصدق القول .

---

(٧) طبع في (مهرجان الغزاليّ) ص ٥٢٣ وما بعدها .

٢ ـ البعد الاجتماعي : وهو مجتمعه ، وحكومته مع النّاس ، ومعاملاته مع الناس فإذا دخل مجلساً أو جماعةً سلّم وجلس حيث امتنع ، وترك التخطّي ، وخصّ بالسَّلام من قرب منه إذا جَلَسَ ، ولا يستصغر أحداً من الناس فيهلك ، ولا يدري لعله خير منه وأطوع للّه منه ، ولا يعظ أحداً منهم إلا أن يرى فيه أثر القبول ، وإلا عاداه ولم يسمع منه .

وفي أدب المعاشرة يقول : « وإذا جلست فترفع ، وتحذر من تشْبيك أصابعك ، والعبث بخاتمك ، وتخليل أسنانك ، وادخال يدك في أنفك ، وطرد الذباب عن وجهك ، وكثرة التمطي والتثاؤب ، وليكن مجلسك هادئًا وكلامك ليِّنًا ، واصْغَ إلى الكلام الحسن ممّن يحدثك . ولا تظهر لصديقك كل ما يؤذيك ، فإنه متى رأى منك وقعةً أعقبك العَدَاوَة » .

أما آداب الرعيّة مع السلطان عنده فهي دوام الهيبة للسلطان وإن كان ذا رفق ، وترك الاستجراء عليه وإن كان ذا لين ، وقلة السؤال وإن كان مجيباً ، وترك الاستعانة به إلاّ لشئ يلزم أمره .

٣ ـ البعد الميتافيزيقيّ : وهو عقيدته ومبادئه ، ومُثُله ومعارفه ، إطراق الطّرْف وجمع الهمّ ، وسكون الجوارح ، ومداومة امتثال الأوامر ، واجتناب النواهي ، وقلة الإعتراض ، وحسن الخلق ، ودوام الذكر ، وتنزيه الفكر ، وتقييد الجوارح ، وسكون القلب ، وتعظيم الرّبّ ، وقلّة الغضب ، ودوام الإخلاص ، والسكون ثقة بالضمان .

ولذلك ترى أنّ الأخلاق عند الغزاليّ ليست محصورة بقائمة من الفضائل الفردية بل هي مجموعة من الفضائل العقلية والعملية الفرديّة والاجتماعية ، وكثير من العقائد والعبادات والمعاملات مأخوذة من الدِّين ، ومستوحاة من القرآن ، ومنتهجة طريقة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلم .

أما أسلوبه فأدبي مشرق ، طوّعَ اللغة العربية مع كون الغزاليّ أعجميّ الأصل للتعبير عن تجربته الإنسانية العميقة ، وعن العلوم الفلسفية في صفاء وبهاء .

ومع كلّ ما قدمناه ، وما سنقدمه ، اختلف في الحكم على الغزاليّ من قديم .

فرمِيَ بالتناقض تارةً ، وبعدم الإخلاص تارةً أخرى ، واستنكر تصوُّفه، وأخذ عليه عدم التحرِّي في رواية الحديث .

ورغم أنه عظيم الحظِّ في التاريخ والكتابة عنه كثيرة جداً ، لكنه لا يزال يسَع الباحثين بعلمه وعقله وقلبِه ، ونستطيع أن نقرر أن النهضة الفكرية الإسلامية الحديثة مدينةٌ للغزاليّ ، ومتأثرة به إلى مدًى بعيد ، وما أجْدَرَنا أن نرفع الغبار عن مخلّفاته ونحيى تراثه إحياءً كريمًا .

• • •

مصادر البحث ومراجعه

ـ من مؤلفات الغزاليّ المطبوعة في مصر:

١ ـ المنقذ من الضلال .
٢ ـ تهافت الفلاسفة .
٣ ـ إحياء علوم الدين .
٤ ـ الأدب في الدين . ضمن مجموعة .
٥ ـ أيها الولد ـ بتحقيق علي محيى الدين .

ؤلفات لغير الغزاليّ نشرت في مهرجان الغزاليّ في دمشق وطبعت في المجلس ى لرعاية الفنون والآداب بالقاهرة سنة ١٩٦٢م :

	الصفحات
١ – عصر الإمام الغزالي – للدكتور مصطفى جواد	٤٩٣ وما بعدها
٢ – الغزالي الفقيه – للشيخ محمد أبو زهرة	٥٢٣ وما بعدها
٣ – الغزالي الفيلسوف – للدكتور إبراهيم بيومي مدكور	٢٠٩ وما بعدها
٤ – الجوانية الأخلاقية عند الغزالي – للدكتور عثمان أمين	١٣١ وما بعدها
٥ – الإمام الغزالي المعلم والمربي – للشيخ إبراهيم القطان	٢٩٣ وما بعدها
٦ – التربية عند الغزالي – للأستاذة السيدة فتحية سليمان	٧٦٣ وما بعدها
٧ – الكامل في التاريخ – لابن الأثير	
٨ – طبقات الشافعية الكبرى – لابن السبكى	

* * *